المنار
١٣١٥
تنشر مبادئ الذين يتقون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٤ ـ ٦ السنبلة (ص٣) ١٢٩٤ م ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام عيد الفطر تيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز مالم يكن يتيسر في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها بالكلام كتوسعهم بالطعام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الازهر والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والاطباء وغيرهم من أهل الرأي مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جديرة بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأعقابنا الآتية ، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاورة منها وأجمعها للمقاصد ، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تتم الفائدة من تلك الأحاديث بغير تكرار ولا عبث وهذه المحاورة كانت بيننا وبين أستاذ معروف باعتدال الفكر واستقلال الرأي ، وقد وقعت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وها هي ذي — ونعبر عن الأستاذ بحرف ذ وعن نفسنا بحرف ن :

ذ — ما رأي الأستاذ في استقلال الشريف أمير مكة بالحجاز ، فإني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى ان أخانا الشيخ . أ . قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن ان الأستاذ على رأي هؤلاء ، ولا انك تقول ان هذا الأمر ليس بذي بال

ن — صدقت ، ان هذا الأمر لذو بال ، وانه قد شغل مني البال وهيج البلبال . وانني مخالف لهؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الأشياء ، ولا يصدقون من الأنباء الا ما يلذ لهم ، ولا يقبلون من الآراء الا ما يوافق أهواءهم ، ولذلك راج بينهم رأي تلقوه بالقبول ، وهو ان الشريف لم يعلن الاستقلال الا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوقعها فيها الحصر البحري أو كاد ، فقد امتنع بذلك وصول الأقوات اليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل ان أردب القمح صار في مكة ببضعة جنيهات ، فمذ ر الشريف في اظهار دعوى الاستقلال جلي ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في ايجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشية ، ولولا ذلك لقاتلته الدولة هذا هو الرأي الرائج في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا الرأي ولا برده ، وان كان معقولا في نفسه ، لأني أعلم أنه قد وجد في طي السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أقف على

كنهها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لانشاء دولة ، ولا القوة التي يقوم عليها استقلال الخلافة ، وحياة أهله موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فاذا منع عنه القوت من هنا وهناك مات أهله جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لأفنى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل انها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة امارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . واذا زال استقلالها وفرضنا انه أمن على استقلاله من صاحب هيرو وصاحب نجد فانه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يجدد الخلافة الاسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الارض ، لان الاستقلال بأمر الملك والخلافة يتوقف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منهما ؟

فلهذه الأفكار ترانى مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم منا بشؤون جزيرة العرب وشؤون أمرائها ، وأعلم منا بظاهر الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجمعياتها . كما أنه أوسع مناعلما بأحوال الدولة العلية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبهاً لما يتجدد من أخبارها ، يعترف له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وانني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تسكن حالة المجلس أو الوقت تسمح للسيد بالافاضة في ذلك ؛ فعسى أن نستفيد الآن ما فاتنا من قبل

د - لم أنس ان باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والانسان يتذكر في وقت ما ينساه في آخر ، فاذا ذكره محدثه تذكر ، وانني لا أبخل على الاستاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيهما فائدة له ، فاذا حدثته بشيء لم يره كافيا فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بالعادة غير مما كنا ألممنا به من قبل ؛ وابدأ ببيان ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول:

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من الرأي الذي دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالقبول قد سمعته من غيرك أيضاً. وهو رأي كما قلت معقول، وعذر الشريف فيه مقبول، ولاسيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون، فانه مسؤول عنه الله وعند الناس عن إنقاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك، وازالة الموانع التي منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام، ولا سبيل إلى هذا وذاك إلا بازالة الحصر البحري عن ثغور الحجاز، الذي كان سببه وجود الجنود التركية فيها، فان دولة انكلترة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحري الذي ضربته على جميع السواحل العثمانية؛ وسمحت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة. ثم انها لما علمت بارسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود يستفهدون منها، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أعدائها ولكن تموينها لجيوشها غير معقول، وإنما المعقول ضده، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها ولجعلتها من ميادين الحرب أيضا، ولكن إزالة الشريف أم مهمة لا السبب الذي أوجب الحصر، ومنع القوت والحج، مناواة للدولة التركية أو الاتحادية لانه قصد لقتال جنودها، ورفع سيادتها عن البلاد التي هو أميرها، فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر في الحجاز ونبذ سيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهرياً ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صوري وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة، ومن يرى أنه لا يزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هي راضية عن فعله وعاذرة له فيه، لأننا نعلم أن ازالة منع القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه، وهنالك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثنا

ذ ـ اذاً لماذا لم يجرد الدولة جيشاً لقتاله؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركي حصاراً ولم يعاجزه القتال؟

د — أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما العجز وإما العقل، أما العجز فهو الآن غير بعيد، لأن جنود الدولة متفرقون في عدة ميادين من أوربة وعدة ميادين في الاناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تستغني عن جيش كبير يصلح ما اعتل من سكة حديد الحجاز ويبقي قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، ويسير قسم منه لانقاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مركز تموينه وإمداده في الشام إلى مكة. وأما العقل فيقتضي عدم التصدي لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء العجز، لأن قتاله يضعف الدولة في الميادين الاخرى، وربما يستتبع خروج عرب الجزيرة كلهم أو جلهم عليها، فيتسع الخرق على الراقع، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن، فان انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تتصرف في الحجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أحلافها فلا معنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، ذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها، بل المعقول أن يتمنى كل مسلم من تُرك الدولة كسبها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجحنا أن العقل يمنعها من قتال الشريف إن لم يمنعها العجز، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت؛ ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الاصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصدهم في العرب، فكان المعقول أن يثبتوا للعرب الولايات صدق وعودهم بالاصلاح ويفوا لهم بعهودهم التي عقدوها مع السيد الزهراوي عقب عقد المؤتمر العربي، ويزيدوهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يملكون به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الاحقاد » ولكن امثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشنع مناظرها ، فبعد أن جندوا جموع شبان سورية والعراق وفرقوهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالدردنيل والبلقان والاناضول - وبعد أن صادروا الاموال والغلال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولي العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينهبون الكبراء والاغنياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم.

وبعد أن رأوا مآربهم هذا قد تحقق بغير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فانهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز مافعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب

ذ - إني أعلم أن السوء سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سياستهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكنني رأيته قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تنسمت عطفه عليهم من بعض ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أظن أنه كجمهور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتتوقعون أن يكون لها تأثير سيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم إنني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبقصد الاصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا لمسلمي سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من التنكيل بالعرب في الشام ، لانه ثبت عندي بالتواتر فكتبت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخوانا قبل أن تجيئنا البرقيات بنبأ استقلال الشريف وإن نشرت بعد ذلك ، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه ارسال الجند والسلاح إلى الحجاز للقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وان قول انه جاء بصنيعه جمعية الشريف على حيدر من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليجعله خلفا للشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة فاذا صح هذا الظهر فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي يطلبونها ، فاذا أمكن للشريف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤيدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد اضعاف عرب الحجاز أن يستبد بالنفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكر ولا صيت قبيح ينشر ، ثم انهم بعد الفتك بالشريف حسين وأولاده يفتكون بالشريفين حيدر وجعفر ، بما فتكوا بصديقي الشريف حيدر (عبد الكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوي) إذ لولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبد الكريم أن يقنع الزهراوي بالمجيء من باريس إلى الآستانة بعد أن أنذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطراً على حياته ، ولم يكن الشريف ضامنا له الأمن على حياته فقط بل كان ضامنا له الاصلاح الذي وعد به الاتحاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلي هو وعبد الكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن سعيه في هذه السبيل

إنني على ما أعلم من سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عند ما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأصدقاء يتذكرون أنني قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا ليصلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فان أنور باشا هو الذي تولى في أول هذه الأزمة استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمرائهم وزعمائهم من المكتوبات العربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات العامة والخاصة ، ومنها الكتاب الذي حمله رسول خاص إلى عدوهم الذي لم يعترفوا له بصفة رسمية قط - أعني السيد الادريسي - وهو يعظمه فيه ويجعله

ويظهر الثقة به ، ثم علمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة نجدة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة المنورة وهي التي تحاصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى الحجاز بمئات الألوف وتوزع في مدنها وثغورها وهو يعلم كما نعلم وتعلم الدولة أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوربية ، فلم يبق لارسال الجنود اليه سبب يعقل - والدولة في أشد الحاجة الى الجنود - إلا التنكيل بعربه والفتك بشرفائه اتماماً لبرنامج جمعية الاتحاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما نعرفه ، وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك أحد غلاتهم المتعصبين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي الذي معه بولاية الحجاز وقيادة جيشها ، وكان من أمر خذلان عسكره في التحرش بقتال العرب ومحاولة الفتك بالشريف ماهو مشهور ، فلهذا تحولت الحملة الحجازية التي ألفت اجابة لطلب أنور باشا للقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تحاصر جنوده في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوها

ذ - إذا كان الشريف عالما من قبل بما تضمره جمعية الاتحاد والترقي للعرب عامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الاتحاديين حتى انه حارب السيد الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السعود كذلك

ر - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لا تحتمل التأويل ، وقد كان أولا يتأول للاتحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشايعتهم وبكراهة السيد الادريسي أن يكون ذا سلطة في عسير ، وينقل عنه وعن أهل بيته انهم يقولون انهم لا يؤيدون الاتحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاعتصام بها وإن جارت على العرب وغيرهم أرجح من مقارمتها ولو سراً لئلا تفضي المقاومة إلى التفرق الذي يضيع به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافي ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي والمسلك لم يكن مرضيا عند الاحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

يرون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط إلا قتال العرب ، وأما مالم يصل إلى حيز التنفيذ فينبغي أن يكون حزبه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجنسية وظلمهم للعرب ، ولكن فجله مبعوث مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر العضو في مجلس الاعيان من حزبهم ولم يغن كل هذا شيئا ، ولا صد الاتحاديين عن محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون للشريف الاكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في عرب الحجاز مالبس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آنفاً اننا لاندري متى عرف الشريف الاكبر حقيقة حالهم ويئس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه يئس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً ولعله لولا هذا اليأس ما نهض بهذا الأمر

ذ — ان من الناس من يرى ان الدولة ماسلمت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت بهزكنا من أركان أحد الحلفين العظيمين اللذين تتألف منهما الدول الأوربية الكبرى ومشايعاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالفتها لألمانية ان لا تقبل هذه صلحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لابد فيه من رضاء الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ؛ فكيف يعقل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أعلم منا بحالها وبشروط محالفتها التي منها ما ذكر

د — إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وان غلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أعداؤها هم المقررين لشرط الصلح ، فمن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انتصر الالمان مع أحلافهم وتحكموا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو معقول : وأما الرأي الذي يقابله في الغرابة وهو زوال استقلالها في حال انتصارها وانتصارهم فلأصحابه وجه جدير بالتأمل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر لجي من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأفقرت الامة كلها بمصادرة أموالها واستئثارها بأسماء متعددة ، وكان عجز ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

الحرب الثاني أفقرتاها وأفقرتا أمتها بسبب اقتراض الملايين في كل عام ؛ وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربا الديون يستغرق معظم الميزانية التي لابد أن تنقص عما كانت نقصاً فاحشا ، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها ؛ وليس أمامها من الأمم الغنية الا الامة الالمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدولتها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الافلاس ما تلم به شعثها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دولتها يديرها رجال الالمان المليون والفنيون — فاذا تدبرنا هذا وعلمنا أيضا أن الدولة قد جعلت حربيتها وبحريتها في أيدي الالمان وجعلت تسلم لضبطهم إجباريا في جميع مدارس المملكة الامهريه وغيرها ، وتذكرنا أن الالمان يملكون عشرين كيلو متر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد ، فأي استقلال يكون للدولة بعد قبض الالمان على إدارة المالية والحربيه ، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الاراضي الواسعه التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الالمان المقيمين في بلجيكه قبل الحرب ملعب أو ملاعب لكرة يلعب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الالماني بلاد البلجيك المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بني بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمه المكتوم خبرها عن غير أركان الحرب من الالمانيين ، وان المسافه بين الملعب وبين الحصون البلجيكيه هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فاذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملعب الكره لعيال ألماني في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي يملك الالماني في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل نتصور أن تسلم من الخطر دولة يملك الالمان التصرف في جميع قواها الماليه والحربيه والعلميه والفنية ، ويملكون في قلب مملكتها تلك الالوف من الاموال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا عبرة أكبر من هذه العبرة وأظهر وهي ما نقله الينا المتطلف في جزء مارس من هذه السنه من مقالة لكونتس ورك (الامبرة الانكليزيه) لقنوا بها الملك الانكليز وامبراطور الالمان) قالت فيها هنن الملك ادوارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ؛ وتكلم من الادارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار ألمانيه لاستفدنا فائدة كبيرة وياجبذا لو حكمنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا » قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معه لأني لم أره بعد ذلك » اه واستدلت الاميرة بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضمر العداء لألمانية . وإثبات هذه القضية هو الذي كتبت لاجله المقاله

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتدبيراً يتعذر عليها الخلاص من الالمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الادارة وهي في جزيرة يحميها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يتيسر للدولة العثمانية الضعيفة الخلاص منهم بعد ماذكرنا من تصرفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن علة الحرب الحقيقية هي التنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار مايشبع مطامع ألمانيا ويتسع مجاله لشعبها الكثير ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانية ، وقد كانت دول الاحلاف تعارضها في استعمارها الاقتصادي مع إبقاء الدولة العثمانية على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الاوربيين.

ذ ـ والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجهله الاتحاديون فكيف رضوا إذاً بموالاة الألمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيبذلوا دماءهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د ـ لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسرواتها من قدماء الوزراء والاعيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانية وتحكيمها في الدولة لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً ، والجواب عنه متعسراً ولا أقول متعذراً . أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لغير الاسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

الجرمانيين — فالجواب سهل والناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منهما جواب

سبب تسليم الاتحاديين الدولة للالمان

(الرأي الأول) رأي سمع كثيراً من خصومهم، وهو انهم جماعة من طلاب المال والثروة علمهم أعلم البشر بطرق تحصيلها — وهم اليهود — كيف يكونون من أغنى أهل العصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم بيعها لدولة الألمان الغنية ، ويستشهد أصحاب هذا الرأي على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتعزيزها لبدوا علمهم فيها بوضع مالونها على أساس ثابت يكثر به الدخل ويقل الخرج، ولو أرادوا ذلك لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أساتذتهم واخوانهم من اليهود الاصليين والدونمه (الذين منهم جاويد بك الذي جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم اغتنموا فرصة ماسموه (حركة الارتجاع) فعزلوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من أمواله وجواهره وتحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثني الثقات من أهل الآستانة انهم كانوا يدخلون قصر (يلدز) فيملؤن جيوبهم من تحفه المرصعة بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤى بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات المرصعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السواري) ثم اغتنموا فرصة وصول جيش البلقار إلى شطاجه فسلموا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان وتحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلقار الاستانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض بعشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسرة مشهور أمرها وكثر الكلام في الاستانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها يتصرفون فيه بضروب من التصرف منها النفقات السرية التي لا تذكر في الميزانية وأعظمها ما يخصص للحربية والداخلية ، وهم يشترون السلاح والذخائر والثياب والاحذية للعسكر بثمن ويقيدونه في دفاتر الحربية بثمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل على هذا أنهم أنفقوا في نظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة في البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر ما يتوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مصادرتهم للأمة في هذه الايام بما كانوا

يصادرون به الاغنياء منذ صار أمر الدولة فى أيديهم — إذ كانوا يهددون كل غنى بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الارتجاعى إلا أن يفتدى نفسه بما يناسب مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى مئتى ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك قس ، ثم انهم فرضوا على كل من دخل جمعيتهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق ماافترضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال عليه الحول ، نعم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم مايمكن كتمانه من دخلهم ، ومما لايمكن كتمان شيء منه رواتب موظفى الحكومة وقد دخل كلهم أوجلهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنه والهرسك وطرابلس الغرب بعدة ملايين

فالذين يعرفون سيرتهم هذه بالتفصيل يعتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم من حياتهم إلا جمع الثروة وهم لايضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم فلذلك باعوها للالمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال أعدائهم ، وستكون كذلك فى أيدى الالمان ان انتصروا يستعملون نفوذ الاتحاديين وقوتهم على السلطان ودولته فى استعمار المملكة العثمانية ويؤيدون الاتحاديين على خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب براثنهم فى كل شيء ويستغنون عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون معارضة الدول فيصرحون بازالة هذا الاستقلال الصورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد يعرفها إلا قليل منهم ، سنذكرها فى بيان هذا الرأى — وهو أنهم لم يبيعوا المملكة بيعاً ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ماأخذوه من الاموال للجمعية قصدوا به ان تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم المحافظين على العقائد العتيقة المنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامة ، وخصومها من الاحزاب السياسية المخالفة لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى كتتريك العناصر وغير ذلك ، وأما ماأعطى لبعض زعماء الجمعية كالدكتور ناظم وأحمد رضا فهو تعويض عما خسروا فى سبيل الجمعية ، وما هو ذلك كسمسرة القروض والامتيازات

فهو قانوني. ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقيرة لا يرجى ان تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى ان يكون نهوض الدولة من قبلها ، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كما هي على هذه الحالة — لما رأوا ان الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تتولى دولة أوربية قوية تنظيم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالدول الأوربية والأمم الأوربية من كل وجه ، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانية — وهي ارقاهن علماً وقوة عسكرية — فما زالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سرياً قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الجرمانية تكون تابعة للاتحاد الجرماني في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله ، وإنما نعلم منه بالاجمال ان الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم الجرمن من الفسحة ، ولذلك تكثر جرائدهم من المقابلة بين الترك والجرمن وتماثل بما قدم أولئك وأخرهم وهم من أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداهة ان مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صدق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان ، وان الاتحاديين ما كانوا يجسرون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضي عليهم قضاء لا مرد له ، فكانوا يجهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا في سنين كثيرة، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة ، وقد كان المعارضون في المجلس أقوياء ومعظم الأمة على مذهبهم ولذلك أسقطوا الاتحاديين وانتزعوا منهم السلطة ، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذي انتزعها لم يطل أمرها ولا تيسر له أن يكفل وزارتي الشيخين مختار باشا وكامل باشا ، فلذلك تيسر للاتحاديين بقوة نفوذهم وتكاتفهم ومساعدة الجيش وألمانيه لهم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل ؛ ومن الغريب ان اتكاتره وروسيه وفرنسه المعارضات لسياسة ألمانيه في الدولة لم ينصرن الأحزاب المعارضة للاتحاديين ولا وزارتي مختار

باشا وكامل باشا فكان هذا ضعفا منهن من حيث هو رجحان للسياسة الالمانية فى الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكلتره ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عددا وأرسخ فى الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا بخذل الدول التى يميلون اليها الدولة فى حرب البلقان .

والكلام فى إيضاح هذا الرأى وتفصيل المسائل التى تتعلق به يطول فنكتفى منه بما لا نخرج به عن موضوعنا ، وملخصه أن الاتحاديين متفقون مع الالمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليرفعوها بعلومهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السرى الذى كان يظن أنه لا يمكن تنفيذه الا بعد تمهيد السنين الطوال لما قلنا آنفا . وانى قد سمعت خبر هذا الاتفاق السرى فى الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ ممن يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعا اذ كان سفير الانكليز فى الآستانة ورجال حكومته فى لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافا فى ذلك وان بعضهم يميل اليهم والى أحلافهم — كما علمنا ذلك من الكتاب الأبيض بعده فكان خداعهم للاحلاف فى هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضتهم عشرات الملايين مما يفخرون به وما هم فى هذا الفخر بملومين

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفى عنهم ماقررت من الخطر على الدولة فى تسليم أزمة أمورها الالمان ، وكيف خفى عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى ظنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الالمان بمنزلة المجر من الثمة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون الثمسويين بأعظم المقومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يكون الترك المتعصبون فى الاسلام الذين تمثل دولتهم الخلافة الاسلامية متحدين بالالمان المتعصبين فى دينهم المجدين فى تنصير المسلمين فى مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التى اكتشفها الانكليز هذا العام فى نواصى الحكام الالمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاما لقيصر الالمان فى هذا

المعنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه فى الحث على اتفاق بشرى الألمان البروتستنت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١

د ـ اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء فى الآستانة وغيرها وجميع السياسيين فى أوربة ، وهم يتمنون خروج الشعب التركى من الاسلام ولو بالتدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركيا ، لانهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجرى وغيره من الشعوب الاوربيه . ويشاركهم فى هذا الرأى غيرهم من ملاحدة الترك . ولما كنت فى الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة ـ وكانت معارضة للاتحاديين ـ مقالة فى المقابلة بين الترك والمجر ، وتساءلت عن سبب ما بينهما من الفرق فى العلم والمدنية مع الاتفاق فى النسب ، ورغبت الترك فى التشبه بالمجر وسلوك طريقتهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ الى السيد الزهراوى رحمه الله تعالى فى كتابة رد عليها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح للترك بأن يتركوهما معا ليكونوا كالمجر فى كل شىء أو يتركوا الدين الاسلامى أو

---

١) المنار : اننا نشرنا فى ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب الينا من بعض المتعمرات الألمانيه أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التنصر وتغرى العداوة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالى لان العرب أشد تمسكا بالاسلام وجذبا اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكلترة على ألمانية . ثم نشرنا فى ص ٧٩٩ منه أنه كتب الينا من دار السلام ان حكومتها الالمانية هدمت مسجدين للمسلمين وتضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارات الحسنة . ومن الغريب ان وكالة ألمانيه السياسيه بمصر بلغتنا بعد نشر ماذكر ببضعة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما عزى اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لا أصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن الحكومه بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافراً . ولكنها لم تكذب خبر التنصير بالاكراه الذى نشر فى جزء آخر .

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالالحاد وبمكاشفتهم باعتقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقي الترك . واجتهدوا في استمالة نصارى السوريين اليهم بهذا وبايهامهم أن العرب المسلمين لن يتفقوا معهم لتعصبهم الديني

أما مذهب الاتحاديين السياسي فهو انشاء دولة تركية محضة متحدة بالتحالف الجرماني ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا في الجرمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركي المؤلف من عشرات الملايين في الشعب الالماني أو غيره

ف ـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون في الدولة ستة ملايين ؟

د ـ انهم يعدون مسلمي القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب العثمانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الألماني ، ومن أمانيهم في هذا الخيال أن يملكوا مع الالمان الشرق كله أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدمون نفوذها الديني في سياستهم وحروبهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابتة التركية التي يربونها على الالحاد وتحريف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه في كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستغنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فعند ذلك ينبذونها نبذ النواة ، ويجعلون يوم إلغائها عيداً من الأعياد ، فحاجتهم اليها مؤقتة كحاجة أحد ظرفاء السوريين إلى البرنيطة

ف ـ بعيشك فسكينا بخبر برنيطة هذا السوري الظريف لعله يدفع عني الرعب الذي كاد يساورني من تصور هذا الخيال التركي الالحادي الغريب

د ـ هو الدكتور . . قال انه يلبس البرنيطة لأنها تزيد في ربحه وفي احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يعمى أن يستغني عنها ، وقد وعد أصدقاءه بأن يدعوهم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انتظم عقد

اجتماعهم يوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفاريابى حماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

ذ ـ أود أن تخبرنى ببعض ما لديك من الدلائل التى لا تحتمل التأويل على كفر زعماء الاتحاد ، فان بعض مايدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا باليقين

د ـ إن ما عندى فى ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن يورد عليه من الشبهات فلا يتم لى ذلك إلا بتأليف سفر كبير ، وإذا أردت أن أحصى فى هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية للدين ، وما نشروه فى كتبهم الجديدة وصحفهم من العبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم السياسى الذى ذكرته آنفاً — فلا بد لى من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون قد قرأت ماترجمناه من كتاب (قوم جديد) فى ـ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٤ م ١٧ ـ سنة ١٣٣٢ من المنار [1] ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يعبر عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بتلك الكتب وعلل ذلك بأنها مملوءة بالنفاق والشقاق ، وبين فى مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد) وهى العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعى لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع المسلمين من رعايا دول النصارى والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين هم الذين حاربوا فى البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقى المقدسة » ثم صرح بأن عدد الذين ينتمون الى الجمعية فى حرب البلقان لا يتجاوز مئة ألف وهم المسلمون الحقيقيون قال « أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين إلى الائتلاف (أى حزب الحرية والائتلاف) والبطركخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

---

١) نشر المقطم مقالة لبعض العرب العثمانيين فى هذه السنة ذكر فيها بعض الجمل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا الكتاب فى الجزء الثانى من منار سنة ١٣٣٢ الذى صدر فى يناير سنة ١٩١٤

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو يقدس جميع الترك التابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه فى تلك النبذة المترجمة منه (ص ٥٤ م ١٧) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم للخلفاء العرب ووضع أسمائهم فى المساجد بعد إذلالا للخلفاء الترك «الذين قدستهم الأحاديث النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلانى والبدوى وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدى ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تحقير للترك قال

« أما سميتم الآية (والعاديات ضبحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية ، فخيل هذه الجيوش هى أشرف وأقدس أضعافاً مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء وأشراف الشعوب الأخرى الذين تقدسونهم وتحترمونهم » اهـ وليس هنالك رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربى — الذين ذكر انهم يعلقون أسماءهم فى المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الاتحاديون عبيد الله افندى مؤلف هذا الكتاب مدرساً فى جامع آيا صوفية لينشر هذه الأفكار فى شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة (البوليس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يطعن فى جمعيتهم أو بعض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتيالا أو صبرا أو بمحاكمة قضائية أو عرفية ،

ذ — ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، وتحريفه للقرآن أشد تشويهاً وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الاتحاديين أن مسلمى الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثر فى نفوسهم ؟

د — حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، ويحتمل أن يكون سبب غلوه هذا من خبث ودهاء ، والذى يظهر لى أن لهم فى مثله غرضين (أحدهما) فتح باب الجرأة للاحدة الترك على التصريح بالكفر قولا وكتابة ليكون مجال القول عندهم واسعاً فى الطعن فى النبى ﷺ وفى الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوى وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة فى هذا الباب كالدكتور عبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسى

جمعية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن (كايطانى) المؤرخ الايطالى فى النبى ﷺ ونشر كتابه فى هذه السيرة التى شوه جمالها وانقص كمالها بهتانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير قبيح عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم فى الآستانة (والغرض الثانى) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه لعلمهم بأنهم يقبلون كل كلام يقرأ عليهم فى كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث بما تمكن محرفه ، والكلام فى هذه المسألة يطول فأكتفى منه فى هذا المجلس الذى طال عليك بروايتين من علماء الاستانة وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقى المناسترلى (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك فى الآستانة وهو الذى ترجم (الرسالة الحميدية) بالتركية ، وكان واعظا فى جامع (آيا صوفية) ومدرسا فى دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذى صلى بالسلطان عبد الحميد إماما لجمعة فى (قصر يلدز) عند زيارته لها ، وكان اسماه الاتحاديون بعد الدستور بجعله عضوا فى مجلس الاعيان وجعل ولده كاتب السر لطالعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانة يعدونه بالنفاق يدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيظن العوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبير لما عرفنى حق المعرفة ووثق بى كان لا يعبر عن الاتحاديين فى الحديث معى بداره إلا بلقب « الملاحدة » وقد سألنى عن رأيى فى فطين افندى : أمسلم هو أم زنديق ملحد ؟ فقلت : ما الذى أثار هذه الشبهة فى نفسك حتى شككت فى إيمان رجل من أهل العلم ؟ فقال : يا سيدى يظهر لنا أن الجمعية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المختبر لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامة بمؤمن مسلم أما فطين افندى هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقد عنى بالعلوم الرياضية فصار مديراً للمرصد الفلكى الذى أنشئ فى ضواحى الآستانة وهو ذو همة ونشاط وعلى فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التى يراها نافعة فيخدمها لهذا لخدمة ما نافعة ويتوهم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الوقائع التى أقصها عليك :

لقيت فطين افندى مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول للجمعية وأعظم رجالها نفوذاً فيها ، فلما أقبلت عليهما قال الدكتور هذا فلان يحكم بيننا ، ثم نص على أنه اختلف مع الدكتور فى مسألة مهمة قال : الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقي المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم، اتبعنا خطوات فرنسه (؟) في تجديد شباب الدولة والملة (أي الأمة) وأنا أقول اننا محتاجون إلى اقتباس الفنون عن الاوربيين عامة لا من فرنسه خاصه لأجل ترقية صناعتنا وحربيتنا وماليتنا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فاننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فهو أكمل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رثاً بالياً لا ينفع فلابد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثهما ولا حاجة إلى بيان ما أبديت به رأيي فطن افندي بل أقول لك إنني أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عقيدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يثقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد عرفت رأي جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حقي هذا ، وكذلك رأيت كثيراً من المتدينين يعتقدون أن زعماء الجمعيه كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية يرون أن في هذا خيراً لهم أو مصلحة للدولة والأمه ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الرواية الثانيه) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوريه زارني قاض من قضاة الترك الاهليين ببيروت اسمه (شوكت بك) كان كثير الهج بالجامعه الاسلاميه وإيهام مسلمي بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرمون بسهامهم إلى هذه الجامعه ، وكان ذلك في عهد وزارة مختار باشا والناس يجاهرون بلعن الاتحاديين ولا سبيل إلى استمالتهم اليهم إلا بإيهامهم انهم يخدمون الاسلام ويجتهدون في جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معي ـ بعد مجاملة السلام ـ السؤال عن مسلمي الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجامعه الاسلاميه وما يزعمه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمه في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالالحاد فيه مبالغه ولعل الملحدين منهم لا يزيدون على ثلاثين في المئه قلت : الظاهر أنك أسأت ظناً مني فيهم ، فأنا أعني بمن حكمت عليهم بالالحاد زعماءهم لا جميع من انتمى إلى الجمعيه ، فان لي أصدقاء كثيرين ممن دخلوا في هذه الجمعيه لا ريب عندي في إسلامهم ولا في

صلاحهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حالها ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو الخاصة بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له إنني اختبرت أكبر أولئك الزعماء بمعنى في الأسمانه ووقفت على ما كان من اختبار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأي الزعيم الأكبر الدكتور ناظم الذي ذكرته في الرواية الاولى قال نعم إن الزعماء لا دين لهم ولا دين سنه ، ولكن مسألة الجامعة الاسلامية تفيد الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : إنني أعلم انهم يشتغلون بتأسيس جامعة تركية لا اسلامية عامة وقد بثوا دعاتهم لهذه الجامعة في القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الاسلامية لاعتنوا بتعليم اللغة العربية ونشرها ولكنهم مجتهدون في إماتتها وكيف يتعارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، إنني طفت كثيراً من نواحي الهند فلم أدخل بلداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معي بالعربية ، ولا يمكن أن يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داعية تحفزهم لتعلمها ، وأما اللغة العربية فداعية تعلمها الدين ، وهي تزداد في هذه الايام انتشاراً في الهند وجاوه إلخ

(خلاصة المحاورة وفصل الخطاب فيها)

ق — لقد أطلت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد اقتضت مما سمعت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم مغرورون يسوّل لهم الغرور أنهم يستطيعون أن يهدموا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونهما بناء آخر زينه لهم اليهود ووضع رسمه لهم الالمان ، وأن ذلك يتم لهم في سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقة التدريج التي مضت بها سنة الله في خلق الارض والسموات ، وأحب أن تلخص لي كلامك بجمل مختصرة

د — (١) إن الشريف أمير مكة المكرمة يعتقد أن الاتحاديين ملاحدة يكيدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية فمثلهم كمثل المعتصم في حصن لعدوه وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على اعتصامه ببنائه وبما فيه من الخبرات يضع الالغام تحته ليتسفه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً انهم أشد الناس عداوة للعرب وان بغضهم لهم أشد من بغضهم للروم والارمن لسببين ، أحدهما انهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضرية كثير من أصحاب المعارف العصرية والافكار النيرة وما زالت بواديهم والبلاد التي هي أقرب إلى البداوة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيلونه من تأسيس دوله تركية لادين لها لأمة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر للاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تدريك بلاده الخصبة المتعلقة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يفوزوا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب مالم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التي تسود عاصمة بلاده أتم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحدة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب الاساسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين أعداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ما كان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخليفتها نفوذه وجميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الأساسي ، فأصبح المسلمون بغير امام شرعي لا حقوق معروفة للشروط الشرعية ، ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكلمة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره ، ويسميه أهل الآستانة (المهردار) للجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يختم لها كل ما تأمر بختمه من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يختار رئيس الكتاب وأمين السر له حدثني بعدي بك أحد سراة الآستانة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطاني أنه كان بقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضوله بغجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس ممكنا والسلطان منتصب بغاية الادب على حين

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (فسيت اللقب القبيح الذي ذكره به) لايحترمني أفلايحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم؟

(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المتهودين قد عرضوا استقلال الدولة للزوال، وأن الخطر عليها في انتصار الالمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فان الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضا أنهم يرضون بجعل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة، فغاية انتقامهم من هذه الدولة أن يجعلوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وبعضها مستقل تحت حماية بعض الدول، كالولايات الارمنية، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيه، ويقال أنهم لابد من أخذ شيء منها لأنفسهم ويختلف الاراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا

(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمه أو علة لاذلال الاسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » فبدؤا بالعراق والشام ثم مدوا براثنهم الى الحجاز ، فاضطر الشريف الى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز . واستقلاله بالسلطه فهو من دونهم لمجموع ماتقدم من الأسباب .

ذ — يظهر مما قررته أنه لا يعد مقاومته للاتحاديين خروجا على السلطان ولا عداء للدوله نفسها لانه يرى انهم جانون على الدوله والسلطان قبل جنايتهم على العرب في الحجاز وغيره

د — نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمه للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدوله كما هو واضح مما شرحناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب مما يسقط بسقوطها، وتزول السلطه الاسلاميه عنهما وعن غيرهما مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلاميه خالصه ، ويوشك أن يكون هذا مقدمه لدوله عربيه اسلاميه كبيرة ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من قصدي

أمراء جزيرة العرب وكونه يحول دون تأسيس دولة عربيه عزيزه غير مسلم " فالموادة بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام اليمن والسيد الادريسى ويرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بينهم الجميع على قاعدة (اللامركزيه)

وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية ، وإنما هو كبح لجماح هذه الجمعية الباغيه على الاسلام والدولة والعرب ، فان سقطت الدولة فى هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة وعادت دولة اسلامية قويه لم يكن ما تقدم من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ملخص ما عندى فى هذه المسألة ، فاذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن فى زيارة أخرى .

انتهت المحاورة مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقناع وكذلك المحاورات الأخرى فى الجملة

فخلاصة ما اتفقنا عليه من الآراء فى المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أمكن أن يستتبع تأسيس دولة عربيه قويه مستقلة تمام الاستقلال لا نفوذ فيها للدولة أجنبية يضعف استقلالها ، ولكن منهم من يشك فى امكان ذلك ومنهم من يشك فى سهولة حصوله دون امكانه ، ولكل منهم دلائل نظريه لا يتسع هذا الجزء لبسطها ان كان من الممكن نشرها

ثم ان كل فرد ممن تكلمنا معهم أنصف الشريف فى استحسان وثوقه بهذا الاستقلال عند حد منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملا بما ثبت عندهم من نية الاتحاديين بحيث كان استقلاله غير مضعف للدوله إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجيوشها المنظمه وتيسر لهم ذلك ، فعمل الشريف يصدق عليه أنه إما ان ينفع نفعا عاما أو خاصا بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد عاقل ينكر مثل هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين فى الاسلام صار عدواً لهم ، وأقدم أعدائهم فى هذا علماء الآستانه والمتدينون فيها وفى سائر بلاد الترك سواء كان مسلكهم العرب إلا متأخرين عنهم فى ذلك . وكل عربى مصرى أو غير مصرى عرف كنه سياستهم فى العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السوريون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن غفلاتهم في سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التقتيل والتصليب والتغريب عن الوطن ثبت عندي من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكه وأوربه ، ثم من طريق الحجاز إلا قبلوه مذعنين ، ولعنوا جميع الاتحاديين ، وسيأتي يوم يصدق فيه الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوي

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يلمّ به في مجموعة من أبناء قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على انها لم تقصر في تعظيمه وتكريمه ، وفي الاحتفال له والحفاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، اذا عرف الجمهور منه في أواخر سني حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصلحة وفصاحة اللسان ، وقوة الحجة وجرأة الجنان ، وما كان لعقل الجمهور أن يدرك كنه المزايا والفضائل التي بها كان الزهراوي في حقيقة جوهره من الحكماء الربانيين ، والفلاسفة الاجتماعيين ؛ وإن تمشت عليه الأيام بالانتظام في سلك السياسيين ، تلك الفضائل التي عرفها له كل من عرفه من العقلاء المنصفين ؛ وهي استقلال الرأي وصدق القول وقوة الارادة والاخلاص في العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشتغل في طور من أطوار حياته لمنافعه الخاصة ، وإنما نعلم عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بانشاء (جريدة المنير) السرية التي كان يطبعها في حمص بمطبعة الجلاتين ويوزعها في البلاد السوريه سراً لخدمة جمعية الاتحاد والترقي الاولى والسعي معها لانقاذ الدولة من الادارة الحميدية المستبدة ، فعلق بالسياسة من ذلك الحين وظل مشتغلا بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكلة في